

بحار الأنوار

[140] أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر، وأما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرّتهم، وردعهم عن المعاصي والفواحش، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك: أما الأبرار فإنهم يغبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة. وأما الفجار فإنهم يعرفون رافة ربهم (1) وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاقهم (2) فيحضمهم ذلك على الرافة بالناس والصفح عن أساء إليهم. ولعل قائل يقول: إن هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم، فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم، كمثّل الحرق والغرق والسيل والخسف؟ فيقال لهم: إن الله جعل في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً: أما الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها، وأما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الإزدياد منها. وجملة القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلها إلى الخيرة والمنفعة فكما أنه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدير الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيرها جميعاً إلى الخيرة والمنفعة. فإن قال: ولم يحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي، ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر، فإن هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض (3) والدعة، (4) وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم (5) وتنبيههم على ما فيه رشدهم، فلو أخلوا منهما لغلوا في الطغيان والمعصية كما على الناس في أول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم. _____ (1) وفي نسخة: فانهم يعرفون رحمة ربهم. (2) وفي نسخة: من غير استحقاق. (3) خفض العيش: سهل وكان هنيئاً. (4) الراحة وخفض العيش. (5) وفي نسخة: وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تروّعهم.